أبياتٌ مختاراتٌ من النونية

بقلم فضيلة الشَّيخ الشَّارح رحمه الله تعالى

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ابتدأنا قراءة الدونية بعد العصر يومين في الأسبوع من ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١ نسأل الله أن ينفعنا بها. وهذه أبيات مختارات مما يمر بنا جعلناها فصولا

فصل في مذهب جهم في الصفات

جهم بن صفوان وشيعته الأولى ... جحدوا صفات الخالق الديان
قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان
كلام ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان
وحياته من نفسه وكلامه ... هو غير في الحب لذا البرهان
وكلامه مذكان غيرا كان مخـ ... ـلوقا له من جملة الأكوان

فصل في مذهب جهم في أفعال العبد

والعبد عندهم فليس بفاعل ... بل فعله كتحرك الرجفان
والجبر مذهبه الذي قرت به ... عين العصاة وشيعة الشيطان
فلذاك قال بأن طاعات الورى ... وكذاك ما فعلوه من عصيان
هي عين فعل الرب لا أفعالهم ... فيصح عندهم عند ذا نفيان
ففي الحقيقة هم عليها أولا ... وصدورها عنهم بنفي ثان
فيقال ما صاموا ولا صلوا ولا ... زكوا ولا حجوا ولا قربان
إلا على وجه المجاز لأنها ... قامت بهم كالطعم والألوان

فصل في مذهب جهم في الإيمان

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد ... كالشخص عند تماثل الإنسان

فصل في مذهب جهم في فعل الله

وقضى بأن الله كان معطلا ... والفعل ممتنع بلا إمكان

وحياة قلب المرء في شيئين من ... يرزقهما يحيى مدى الأزمان
ذكر الإله وحبه من غير ما ... شرك به وهما محتنعان
من صاحب التعطيل حقا كامنا ... ع الطائر المنصوص من طيران
يا من تعز عليهم أرواحهم ... ويرون طيبا بيعكم بهوان
ويرون أن أمامهم يوم اللقا ... سر مسألتان شاملتان
ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجبـ ... ـتم من أتى بالحق والبرهان
هاتوا جوابا للسؤال وهيئوا ... أيضا صوابا للجواب يداني

إلى ص ٦٠٢

الصفحة الأخيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبيات مختارات من النونية

بقلم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين، ابتدأنا قراءة النونية بعد العصر، يوْمَيْن في الأسبوع، من ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١هـ، نسألُ اللهَ أن ينفعنا بها، وهذه أبياتٌ مختارات مما يمر بنا، جعلناها فصولًا.

فَصْلٌ في مَذْهَبِ جَهْمٍ في الصِّفَاتِ

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانٍ وَشِيْعَتُهُ الْأُولَى ... جَحَدُوا صِفَاتِ الْخَالِقِ الدَّيَّانِ

قَالُوا وَلَيْسَ لِرَبِّنَا سَمْع وَلَا ... بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ، فَكَيْفَ يَدَانِ

كَلَّا، وَلَا وَصْفٌ يَقُومُ بِهِ سِوَى ... ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ بِغَيْرِ مَعَانِ

وَحَيَاتُهُ هِيَ نَفْسُهُ، وَكَلَامُهُ ... هُوَ غَيْرُهُ فَاعْجَبْ لِهَذَا الْبُهْتَانِ

وكلامه مذ كان غيرًا كان مخـ ... ـلوقا له من جملة الأكوان

فَصْلٌ: في مَذْهَبِ جَهْمٍ في أَفْعَالِ الْعَبْدِ

وَالْعَبْدُ عِنْدَهُمُ فَلَيْسَ بِفَاعِلٍ ... بَلْ فِعْلُهُ كَتَحَرُّكِ الرَّجَفَانِ

وَالْجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ ... عَيْنُ الْعُصَاةِ، وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ

فَلِـذَاكَ قَـالَ بِـأَنَّ طَاعَـاتِ الْـوَرَى ... وَكَـذَاكَ مَـا فَعَلُـوهُ مِـنْ عِصَـيانِ
هِـيَ عَـيْنُ فِعْـلِ الـرَّبِّ لَا أَفْعَالُـهُمْ ... فَيَصِـحُّ عَـنْهُمْ عِنْـدَ ذَا نَفْيَـانِ
نَفْـيٌ لِقُـدْرَتِهِمْ عَلَيْهَـا أَوَّلًا ... وَصُـدُورُها عَـنْهُمْ بِنَفْـيٍ ثَـانِ
فَيُقَـالُ مَـا صَـامُوا وَلَا صَـلَّوْا وَلَا ... زَكَّـوْا وَلَا ذَبَحُـوا مِـنَ الْقُرْبَـانِ
إِلَّا عَـلَى وَجْـهِ الْـمَجَازِ؛ لِأَنَّهَـا ... قَامَـتْ بِهِـمْ كَـالطَّعْمِ وَالْأَلْـوَانِ

فَصْلٌ: في مَذْهَبِ جَهْمٍ في الإِيمَانِ

قَـالُوا: وَإِقْـرَارُ الْعِبَـادِ بِأَنَّـهُ ... خَلَّاقُهُـمْ هُـوَ مُنْتَهَـى الْإِيـمَانِ
وَالنَّـاسُ فِي الْإِيـمَانِ شَيْءٌ وَاحِـدٌ ... كَالْـمُشْطِ عِنْـدَ تَـمَاثُلِ الْأَسْـنَانِ

فَصْلٌ: في مَذْهَبِ جَهْمٍ في فِعْلِ الله

وَقَضَـى بِـأَنَّ اللهَ كَـانَ مُعَطَّـلًا ... وَالْفِعْـلُ مُمْتَنِـعٌ بِـلَا إِمْكَـانِ
ثُـمَّ اسْـتَحَالَ وَصَـارَ مَقْـدُورًا لَـهُ ... مِـنْ غَـيْرِ أَمْـرٍ قَـامَ بِالـدَّيَّانِ
بَـلْ حَالُـهُ سُـبْحَانَهُ فِي ذَاتِـهِ ... قَبْـلَ الْـحُدُوثِ وَبَعْـدَهُ سِـيَّانِ
وَقَضَـى بِـأَنَّ اللهَ لَـيْس بِفَاعِـلٍ ... فِعْـلًا يَقُـومُ بِـهِ بِـلَا بُرْهَـانِ
بَـلْ فِعْلُـهُ الْـمَفْعُولُ خَـارِجَ ذَاتِـهِ ... كَالْوَصْفِ غَـيْرُ الـذَّاتِ فِي الْـحُسْبَانِ
وَقَضَـى بِـأَنَّ النَّـارَ لَـمْ تُخْلَـقْ وَلَا ... جَنَّـاتُ عَـدْنٍ بَـلْ هُمَـا عَـدَمَانِ

فَـإِذَا هُمَـا خُلِقَـا لِيَـوْمٍ مَعَادِنَـا ... فَهُـمَا عَـلَى الْأَوْقَـاتِ فَانِيَتَـانِ

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ لَـمْ يُقِرَّ الْـجَهْمُ بِالْـ ... أَرْوَاحِ خَارِجَـةً عَـنِ الْأَبْـدَانِ

لَكِنَّهَـا مِـنْ بَعْـضِ أَعْـرَاضٍ بِهَـا ... قَامَـتْ، وَذَا فِي غَايَـةِ الْـبُطْلَانِ

وَقَضَـى عَـلَى أَسْـمَائِهِ بِحُـدُوثِهَا ... وَبِخَلْقِهَـا مِـنْ جُمْلَـةِ الْأَكْـوَانِ

فَـانْظُرْ إِلَى تَعْطِيلِـهِ الْأَوْصَـافِ وَالْـ ... أَفْعَـالِ وَالْأَسْـمَاءِ لِلـرَّحْمَنِ

وَلِـذَا تَقَسَّـمَتِ الطَّوَائِـفُ قَوْلَـهُ ... وَتَوَارَثُـوهُ إِرْثَ ذِي السُّـهْمَانِ

لَـمْ يَـنْجُ مِـنْ أَقْوَالِـهِ طُـرًّا سِـوَى ... أَهْـلُ الْـحَدِيثِ وَشِـيعَةِ الْقُـرْآنِ

فَصْلٌ: فِي مُقَدِّمَةٍ قَبْلَ التَّحْكِيمِ

يَـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ الْـمُرِيدُ نَجَاتَـهُ ... اسْـمَعْ مَقَالَـةَ نَاصِـحٍ مِعْـوَانِ

كُـنْ فِي أُمُـورِكَ كُلِّهَـا مُتَمَسِّـكًا ... بِـالْوَحْيِ لَا بِزَخَـارِفِ الْـهَذَيَانِ

وَانْصُـرْ كِتَـابَ اللهِ وَالسُّـنَنَ الَّتِـي ... جَـاءَتْ عَـنِ الْـمَبْعُوثِ بِـالْقُرْآنِ

وَاثْبُتْ بِصَـبْرِكَ تَحْـتَ أَلْوِيَـةِ الْـهُدَى ... فَـإِذَا أَصَـبْتَ فَفِـي رِضَـا الـرَّحْمَنِ

وَتَعَـرَّ مِـنْ ثَـوْبَيْنِ مَـنْ يَلْبَسْـهُمَا ... يَلْـقَ الـرَّدَى بِمَذَمَّـةٍ وَهَـوَانِ

ثَـوْبٌ مِـنَ الْـجَهْلِ الْـمُرَكَّبِ فَوْقَـهُ ... ثَـوْبُ التَّعَصُّـبِ، بِئْسَـتِ الثَّوْبَـانِ

وَتَحَـلَّ بِالْإِنْصَـافِ أَفْخَـرِ حُلَّـةٍ ... زِينَـتْ بِهَـا الْأَعْطَـافُ وَالْكَتِفَـانِ

وَالْـحَقُّ مَنْصُـورٌ وَمُـمْتَحَنٌ، فَـلَا ... تَعْجَـبْ؛ فَهَـذِي سُـنَّةُ الـرَّحْمَنِ

وَبِـذَاكَ يَظْهَـرُ حِزْبُـهُ مِـنْ حَرْبِـهِ ... وَلِأَجْـلِ ذَاكَ النَّـاسُ طَائِفَتَـانِ

لَكِـنَّمَا الْعُقْبَـى لِأَهْـلِ الْـحَقِّ إِنْ ... فَاتَـتْ هُنَـا كَانَـتْ لَـدَى الـدَّيَّانِ

وَاجْعَـلْ لِقَلْبِـكَ هِجْـرَتَيْنِ، وَلَا تَـنَمْ ... فَهُـمَا عَـلَى كُـلِّ امْـرِئٍ فَرْضَـانِ

فَالْـهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الـرَّحْمَنِ بِالْـ ... ـإِخْـلَاصِ فِي سِرٍّ، وَفِي إِعْـلَانِ

وَالْـهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْـمَبْعُوثِ بِالْـ ... ـحَقِّ الْـمُبِينِ وَوَاضِـحِ الْبُرْهَـانِ

وَشَـجَاعَةِ الْفُرْسَـانِ نَفْسُ الزُّهْـدِ فِي ... نَفْـسٍ، وَذَا مَحْـذُورُ كُـلِّ جَبَـانِ

وَشَـجَاعَةُ الْـحُكَّامِ وَالْعُلَـمَاءِ زُهْـ ... ـدٌ فِي الثَّنَـا مِـنْ كُـلِّ ذِي بُطْـلَانِ

وَاجْعَـلْ لِقَلْبِـكَ مُقْلَتَـيْنِ، كِلَاهُمَـا ... بِالْـحَقِّ فِي ذَا الْـخَلْقِ نَاظِرَتَـانِ

فَـانْظُرْ بِعَـيْنِ الْـحُكْمِ وَارْحَمْهُـمْ بِهَـا ... إِذْ لَا تُـرَدُّ مَشِـيئَةُ الـدَّيَّانِ

وَانْظُـرْ بِعَـيْنِ الْأَمْـرِ وَاحْمِلْهُـمْ عَـلَى ... أَحْكَامِـهِ، فَهُـمَا إِذَنْ نَظَـرَانِ

وَاحْـذَرْ كَمَائِـنَ نَفْسِـكَ الـلَّاتِي مَتَـى ... خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسِرْتَ كَسْرَ مُهَـانِ

وَإِذَا انْتَصَرَتْ لَـهَا فَأَنْـتَ كَمَـنْ بَغَـى ... طَفْـيَ الـدُّخَانِ بِمَوْقِـدِ النِّـيرَانِ

فَصْلٌ: فِي عَقْدِ مَجْلِسِ التَّحْكِيمِ

فَاجْلِسْ إِذَنْ فِي مَجْلِسِ الْـحَكَمَيْنِ لِلـرْ ... رَحْمَـنِ، لَا لِلـنَّفْسِ وَالشَّـيْطَانِ

الْأَوَّلُ النَّقْـلُ الصَّـحِيحُ، وَبَعْـدَهُ الْـ ... ـعَقْلِ الصَّـرِيحِ وَفِطْـرَةِ الـرَّحْمَنِ

وَاحْكُمْ إِذَنْ فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا ... يَبْغُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

فَتَرَافَقُوا فِي سَيْرِهِمْ، وَتَفَارَقُوا ... عِنْدَ افْتِرَاقِ الطُّرْقِ بِالْحَيْرَانِ

فَصْلٌ: فِي قُدُومِ الرَّكْبِ الأَوَّلِ أَهْلِ وِحْدَةِ الْوُجُودِ

فَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ ... هَذَا الْوُجُودَ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ

فَهُوَ السَّمَاءُ بِعَيْنِهَا وَنُجُومِهَا ... وَكَذَلِكَ الْأَفْلَاكُ وَالْقَمَرَانِ

وَالْكُفْرُ عِنْدَهُمُ هُدًى، وَلَوَ انَّهُ ... دِينُ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ

قَالُوا: وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ، وَإِنَّمَا ... ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الْأَعْيَانِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمُّوا وَقَالُوا: كُلُّهَا ... مَعْبُودَةٌ مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ

فَالْكُلُّ عَيْنُ اللهِ عِنْدَ مُحَقِّقٍ ... وَالْكُلُّ مَعْبُودٌ لِذِي الْعِرْفَانِ

يَا أُمَّةً مَعْبُودُهَا مَوْطُوؤُهَا ... أَيْنَ الْإِلَهُ، وَثُغْرَةُ الطَّعَّانِ؟

فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبٍ آخَرَ، وَهُمْ حُلُولِيَّةُ الْجَهْمِيَّةِ

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ ... بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ

هُوَ كَالْهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لَا عَيْنُهُ ... مَلَأَ الْخَلَاءَ، وَلَا يُرَى بِعِيَانِ

وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا ... لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ فِي الْأَوْزَانِ

فَصْلٌ: في قُدُومِ رَكْبٍ آخَرَ، وَهُمْ مُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةِ

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَارَبَ وَصْفُهُ ... هَذَا، وَلَكِنْ جَدَّ فِي الْكُفْرَانِ

فَأَسَرَّ قَوْلَ مُعَطِّلٍ وَمُكَذِّبٍ ... فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ

إِذْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا ... هُوَ خَارِجٌ عَنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ

بَلْ قَالَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا ... فِيهَا، وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بِبَيَانِ

وَالله مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ ... مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ

وَالله مَا بُلِيَ الْمُجَسِّمُ قَطُّ ذِي الْـ ... ـبَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذِي الْخُذْلَانِ

فَصْلٌ: في قُدُومِ رَكْبٍ آخَرَ، وَهُمُ الدَّهْرِيَّةُ

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَارَبَ وَصْفُهُ ... هَذَا، وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيزَانِ

قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمُ لَا تُلْهِيكُمُوا ... هَذِي الْأَمَانِي هُنَّ شَرُّ أَمَانِ

فَتَّشْتُ فَوْقَ وَتَحْتَ، ثُمَّ أَمَامَنَا ... وَوَرَاءَ، ثُمَّ يَسَارَ مَعْ أَيْمَانِ

مَا دَلَّنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمُوا ... كَلَّا، وَلَا بَشَرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي

إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكَتْ ... تَعْزِي مَذَاهِبَهَا إِلَى الْقُرْآنِ

فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ رُفْقَتِي وَأَحِبَّتِي ... أَصْحَابَ جَهْمٍ حِزْبَ جِنْكِزْخَانِ

مَنْ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُقَالُ لَهَمْ؟ فَقَدْ ... جَاؤُوا بِأَمْرٍ مَالِئِ الآذَانِ

جَاؤُوكُمُوا بِالْوَحْيِ لَكِنْ جِئْتُمُوا ... بِنُحَاتَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ

قَالَوا: مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ، فَلَا ... تَسْمَعْ مَقَالَ مُجَسِّمٍ حَيَوَانِ

فَإِذَا ابْتُلِيتَ بِهِمْ فَغَالِطْهُمْ عَلَى الْـ ... تَأْوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

وَكَذَاكَ غَالِطْهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْـ ... أَخْبَارِ، ذَانِ لِصَحْبِنَا أَصْلَانِ

وَإِذَا اجْتَمَعْتَ وَهُمْ بِمَجْلِسِ مَشْهَدٍ ... فَابْدُرْ بِإِيرَادٍ وَشَغْلِ زَمَانِ

هَذَا الَّذِي وَاللهِ أَوْصَانَا بِهِ ... أَشْيَاخُنَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

فَرَجَعْتُ مِنْ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي ... وَمَطِيَّتِي قَدْ آذَنَتْ بِحِرَانِ

عَطِّلْ رِكَابَكَ وَاسْتَرِحْ مِنْ سَيْرِهَا ... مَا ثَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذِي الْأَكْوَانِ

مَا ثَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلَمْ ... يَتَكَلَّمِ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْآنِ

فَدَعِ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامَ لِأَهْلِهِ ... فَهُمَا السِّيَاجُ لَهُمْ عَلَى الْبُسْتَانِ

وَاقْطَعْ عَلَائِقَكَ الَّتِي قَدْ قَيَّدَتْ ... هَذَا الْوَرَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ

لِتَصِيرَ حُرًّا لَسْتَ تَحْتَ أَوَامِرٍ ... كَلَّا، وَلَا نَهْيِي، وَلَا فُرْقَانِ

فَذَرُوا الْمِرَاءَ، وَصَرِّحُوا بِمَذَاهِبِ الْـ ... قُدَمَاءِ، وَانْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْـ ... ـبِيهِ تَحْتَ لِوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ

أَوْ لَا فَلَا تَتَلَاعَبُوا بِعُقُولِكُمْ ... وَكِتَابِكُمْ، وَبِسَائِرِ الْأَدْيَانِ

فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ ... وَكَلَامِهِ، وَعُلُوِّهِ بِبَيَانِ

وَالنَّـاسُ بَـيْنَ مُصَـدِّقٍ أَوْ جَاحِـدِ ... أَوْ بَـيْنَ ذَلِـكَ أَوْ شَـبِيهُ أَتَـانِ

يَـا وَيْـحَ جَهْـمٍ وَابْـنِ دِرْهَـمَ وَالْأُولَى ... قَـالُوا بِقَوْلِـهِمَا مِـنَ الْـخُورَانِ

بَقِيَـتْ مِـنَ التَّشْـبِيهِ فِيـهِ بَقِيَّـةٌ ... نَقَضَـتْ قَوَاعِـدَهُ مِـنَ الْأَرْكَـانِ

يَنْفِـي الصِّـفَاتِ مَخَافَـةَ التَّجْسِـيمِ لَا ... يَلْـوِي عَـلَى خَـبَرٍ وَلَا قُـرْآنِ

وَيَقُـولُ إِنَّ اللهَ يَسْـمَعُ أَوْ يَـرَى ... وَكَـذَاكَ يَعْلَـمُ سِرَّ كُـلِّ جَنَـانِ

وَبِنَفْيِـهِ التَّجْسِـيمَ يَصْـرُخُ فِي الْـوَرَى ... وَاللهِ مَـا هَـذَانِ مُتَّفِقَـانِ

لَكِنَّنَـا قُلْنَـا: مُحَـالٌ كُـلُّ ذَا ... حَـذَرًا مِـنَ التَّجْسِـيمِ وَالْإِمْكَـانِ

فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ

وَأَتَـى فَرِيـقٌ، ثُـمَّ قَـالَ: أَلَا اسْـمَعُوا ... قَـدْ جِئْـتُكُمْ مِـنْ مَطْلَـعِ الْإِيـمَانِ

مِـنْ أَرْضِ طَيْبَـةَ مِـنْ مُهَـاجِرِ أَحْمَـدٍ ... بِالْـحَقِّ وَالْبُرْهَـانِ وَالتِّبْيَـانِ

سَـافَرْتُ فِي طَلَـبِ الْإِلَـهِ فَـدَلَّنِي الْـ ... ـهَادِي عَلَيْـهِ وَمُحْكَـمُ الْقُـرْآنِ

مَـعَ فِطْـرَةِ الـرَّحْمَنِ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... وَصَرِيـحِ عَقْـلِي، فَـاعْتَلَى بِبَيَـانِ

شَـهِدُوا بِـأَنَّ اللهَ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... مُتَفَـرِّدٌ بِالْـمُلْكِ وَالسُّـلْطَانِ

وَهُـوَ الْإِلَـهُ الْـحَقُّ لَا مَعْبُـودَ إِلْ ... لَا وَجْهُـهُ الْأَعْـلَى الْعَظِـيمُ الشَّـانِ

وَعِبَـادَةُ الـرَّحْمَنِ غَايَـةُ حُبِّـهِ ... مَـعَ ذُلِّ عَابِـدِهِ، هُمَـا قُطْبَـانِ

وَالنَّـاسُ بَعْـدُ فَمُشْـرِكٌ بِإِلَـهِهِ ... أَوْ ذُو ابْتِـدَاعٍ، أَوْ لَـهُ الْوَصْـفَانِ

وَهُـوَ الْعَـلِيُّ يَـرَى وَيَسْـمَعُ خَلْقَـهُ ... مِـنْ فَـوْقِ عَـرْشٍ، فَـوْقِ سِـتِّ ثَـمَانِ

وَهُـوَ الْعَلِـيمُ بِـمَا يَكُـونُ غَـدًا وَمَـا ... قَـدْ كَـانَ وَالْـمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ

وَهُـوَ الْقَـدِيرُ، فَكُـلُّ شَيْءٍ فَهْـوَ مُقْـ ... ـدُورٌ لَـهُ طَوْعًـا بِـلَا عِصْـيَانِ

وَلَـهُ الْـحَيَاةُ كَـمَالُـهَا فَلِأَجْـلِ ذَا ... مَـا لِلْمَـمَاتِ عَلَيْـهِ مِـنْ سُـلْطَانِ

وَكَـذَلِكَ الْقَيُّـومُ مِـنْ أَوْصَـافِهِ ... مَـا لِلْمَنَـامِ لَدَيْـهِ مِـنْ غِشْـيَانِ

وَلَـهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَـةُ وَالرِّضَـا ... وَلَـهُ الْـمَحَبَّةُ، وَهْـوَ ذُو الْإِحْسَـانِ

وَلَهُ الْكَمَالُ الْـمُطْلَقُ الْعَارِي عَـنِ التَّـ ... ـشْبِيهِ وَالتَّمْثِيـلِ بِالْإِنْسَـانِ

وَكَـمَالُ مَـنْ أَعْطَـى الْكَـمَالَ لِنَفْسِـهِ ... أَوْلَى وَأَقْـدَمُ، وَهْـوُ أَعْظَـمُ شَـانِ

وَاللهُ رَبِّي لَـمْ يَـزَلْ مُتَكَلِّـمًا ... وَكَلَامُـهُ الْـمَسْمُوعُ بِـالْآذَانِ

صِـدْقًا وَعَـدْلًا أُحْكِمَـتْ كَلِمَاتُـهُ ... طَلَبًـا وَإِخْبَـارًا بِـلَا نُقْصَـانِ

وَكَـذَلِكَ الْقُـرْآنُ عَـيْنُ كَلَامِـهِ الْـ ... ـمَسْمُوعِ مِنْـهُ حَقِيقَـةً بِبَيَـانِ

لَكِـنَّ أَصْـوَاتَ الْعِبَـادِ وَفِعْلَهُـمْ ... كَمِـدَادِهِمْ وَالـرَّقُّ مَخْلُوقَـانِ

هَـذِي مَقَالَـةُ أَحْمَـدٍ وَمُحَمَّـدٍ ... وَخُصُـومُهُمْ مِـنْ بَعْـدِ طَائِفَتَـانِ

إِحْـدَاهُمَا زَعَمَـتْ بِـأَنَّ كَلَامَـهُ ... خَلْـقٌ لَـهُ أَلْفَاظُـهُ وَمَعَـانِي

وَالْآخَـرُونَ أَبَـوْا وَقَـالُوا شَـطْرُهُ ... خَلْـقٌ، وَشَـطْرٌ قَـامَ بِـالرَّحْمَنِ

زَعَمُوا الْقُرَانَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً ... قُلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ

هَذَا الَّذِي نَتْلُوهُ مَخْلُوقٌ كَمَا ... قَالَ الْوَلِيدُ وَبَعْدَهُ الْفِئَتَانِ

وَالْآخَرُ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ فَقَائِمٌ ... بِالنَّفْسِ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدَّيَّانِ

وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ قَوْلٌ قَالَهُ ... فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي

وَالْخُلْفُ بَيْنَهُمُ فَقِيلَ مُحَمَّدٌ ... أَنْشَاهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ

وَالْآخَرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا: إِنَّمَا ... جِبْرِيلُ أَنْشَاهُ عَنِ الْمَنَّانِ

وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى، وَقَالَتْ: إِنَّهُ ... نَقْلٌ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ

فَصْلٌ: فِي مَجَامِعِ طُرُقِ أَهْلِ الأَرْضِ وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْقُرْآنِ

وَإِذَا أَرَدْتَ مَجَامِعَ الطُّرُقِ الَّتِي ... فِيهَا افْتِرَاقُ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ

فَمَدَارُهَا أَصْلَانِ قَامَ عَلَيْهِمَا ... هَذَا الْخِلَافُ هُمَا لَهُ رُكْنَانِ

هَلْ قَوْلُهُ بِمَشِيئَةٍ أَمْ لَا؟ وَهَلْ ... فِي ذَاتِهِ أَمْ خَارِجٌ؟ هَذَانِ

أَصْلَا اخْتِلَافِ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْـ ... ـقُرْآنِ، فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

ثُمَّ الْأُلَى قَالُوا بِغَيْرِ مَشِيئَةٍ ... وَإِرَادَةٍ مِنْهُ، فَطَائِفَتَانِ

إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ مَعْنًى قَائِمًا ... بِالنَّفْسِ، أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانِ

وَاللهُ أَحْدَثَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ كَيْ ... تُبْدِيهِ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ

وَكَـذَلِكَ اخْتَلَفُـوا فَقِيـلَ حِكَايَـةٌ ... عَنْـهُ، وَقِيـلَ عِبَـارَةٌ لِبَيَـانِ

وَالْآخَـرُونَ يَـرَوْنَ هَـذَا الْبَحْـثَ لَفْـ ... ـظِيًّا، وَمَـا فِيـهِ كَبِـيرُ مَعَـانِ

وَالْفِرْقَـةُ الْأُخْـرَى فَقَالَـتْ: إِنَّـهُ ... لَفْـظٌ وَمَعْنًـى، لَـيْسَ يَنْفَصِـلَانِ

وَاللَّفْـظُ كَالْـمَعْنَى، قَـدِيمٌ قَـائِمٌ ... بِـالنَّفْسِ لَـيْسَ بِقَابِـلِ الْـحِدْثَانِ

فَالسِّـينُ عِنْـدَ الْبَـاءِ لَا مَسْـبُوقَةٌ ... لَكِـنْ هُمَـا حَرْفَـانِ مُقْتَرِنَـانِ

وَالْقَـائِلُونَ بِـذَا فَقَـالُوا إِنَّـمَا ... تَرْتِيبُهَـا بِالسَّـمْعِ وَالْآذَانِ

وَالْقَـائِلُونَ بِأَنَّـهُ بِمَشِـيئَةٍ ... وَإِرَادَةٍ أَيْضًـا، فَهُـمْ صِـنْفَانِ

إِحْـدَاهُمَا جَعَلَتْـهُ خَـارِجَ ذَاتِـهِ ... كَمَشِـيئَةٍ لِلْخَلْـقِ وَالْأَكْـوَانِ

فَـالْقَوْلُ مَفْعُـولٌ لَـدَيْهِمْ قَـائِمٌ ... بِـالْغَيْرِ كَـالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْـوَانِ

قَـالُوا: وَصَـارَ كَلَامُـهُ بِإِضَـافَةِ التْـ ... ـتَشْرِيفِ مِثْـلَ الْبَيْـتِ ذِي الْأَرْكَـانِ

هَـذِي مَقَالَـةُ كُـلِّ جَهْمِـيٍّ وَهُـمْ ... فِيهَـا الشُّـيوخُ مُعَلِّمُـو الصِّـبْيَانِ

لَكِـنَّ أَهْـلَ الِاعْتِـزَالِ قَـدِيمَهُمْ ... لَـمْ يَـذْهَبُوا ذَا الْـمَذْهَبَ الشَّـيْطَانِي

لَكِـنَّمَا مُتَـأَخِّرُوهُمْ بَعْـدَ ذَا ... قَـدْ وَافَقُـوا جَهْـمًا عَـلَى الْكُفْـرَانِ

وَالْقَـائِلُونَ بِأَنَّـهُ بِمَشِـيئَةٍ ... فِي ذَاتِـهِ أَيْضًـا فَهُـمْ نَوْعَـانِ

إِحْـدَاهُمَا جَعَلَتْـهُ مَبْـدُوءًا بِـهِ ... نَوْعًـا حِـذَارَ تَسَلْسُـلِ الْأَعْيَـانِ

هَـذِي مَقَـالَاتُ ابْـنِ كَـرَّامٍ وَمَـا ... رَدُّوا عَلَيْـهِ قَـطُّ بِالْبُرْهَـانِ

وَالْآخَـرُونَ أُولُـو الْـحَدِيثِ كَأَحْمَـدِ ... وَمُحَمَّـــدٍ وَأَئِمَّســـةِ الْإِيـــمَانِ
قَـالُوا بِـأَنَّ اللهَ حَقًّـا لَـمْ يَـزَلْ ... مُتَكَلِّـــمًا بِمَشِـــيئَةٍ وَبَيَـــانِ
وَاللهُ قَـالَ وَقَائِـلٌ، وَكَـذَا يَقُـو ... لُ الْـحَقَّ، لَـيْسَ كَلَامُـهُ بِالْفَـانِي

فَصْـلٌ

وَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ كَذَلِكَ الْـ ... إِرْسَـالُ مَنْفِـيٌّ بِـلَا فُرْقَـانِ
فَرِسَـالَةُ الْـمَبْعُوثِ تَبْلِيـغٌ كَـلَا ... مَ الْـمُرْسِلِ الـدَّاعِي بِـلَا نُقْصَـانِ
وَحَقِيقَـةُ الْإِرْسَـالِ نَفْسُ خِطَابِـهِ ... لِلْمُرْسَـلِينَ وَإِنَّـهُ نَوْعَـانِ
نَـوْعٌ بِغَـيْرِ وَسَـاطَةٍ كَكَلَامِـهِ ... مُوسَـى وَجِبْرِيـلَ الْقَرِيـبَ الـدَّانِي
وَالْآخَـرُ التَّكْلِـيمُ مِنْـهُ بِالْوَسَـا ... طَـةِ، وَهْـوَ أَيْضًـا عِنْـدَهُ ضَرْبَـانِ
وَحْـيٌ وَإِرْسَـالٌ إِلَيْـهِ، وَذَاكَ فِي الشْـ ... ـشُـورَى أَتَـى فِي أَحْسَـنِ التِّبْيَـانِ
وَإِذَا انْتَفَـتْ صِـفَةُ الْكَـلَامِ فَضِـدُّهَا ... خَـرَسٌ، وَذَلِـكَ غَايَـةُ النُّقْصَـانِ
فَلَـئِنْ زَعَمْـتُمْ أَنَّ ذَلِـكَ فِي الَّـذِي ... هُـوَ قَابِـلٌ مِـنْ أُمَّـةِ الْـحَيَوانِ
وَالـرَّبُّ لَـيْسَ بِقَابِـلٍ صِـفَةَ الْكَـلَا ... مِ فَنَفْيُهَـا مَـا فِيـهِ مِـنْ نُقْصَـانِ
فَيُقَـالُ: سَـلْبُ كَلَامِـه وَقَبُولِـهُ ... صِـفَةَ الْكَـلَامِ أَتَـمُّ لِلنُّقْصَـانِ
إِذْ أَخْـرَسُ الْإِنْسَـانِ أَكْمَـلُ حَالَـةً ... مِـنْ ذَا الْـجَمَادِ بِأَوْضَـحِ الْبُرْهَـانِ

فَجَحَدْتَ أَوْصَافَ الْكَمَالِ مَخَافَةَ التـ ـــتَجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْإِنْسَانِ
وَوَقَعْتَ فِي تَشْبِيهِهِ بِالنَّاقِصَا تِ الْجَامِدَاتِ، وَذَا مِنَ الْخِذْلَانِ

فَصْلٌ

وَاللهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ مِنْهُ وَمَجْرُورٌ بِـ(مِنْ) نَوْعَانِ
عَيْنٌ وَوَصْفٌ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ فَالْـ أَعْيَانُ خَلْقُ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرُورِ قَامَ لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
وَنَظِيرُ ذَا أَيْضًا سَوَاءً مَا يُضَا فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَمِنْ أَعْيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ
وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا وَكَذَا الْكِتَابَةُ، فَهْيَ خَطُّ بَنَانِ
لَكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ وَالْمَكْتُوبُ وَالْـ ـمَحْفُوظُ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ الْـ إِسْلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

فَصْلٌ

وَأَتَى ابْنُ سِينَا الْقُرْمِطِيُّ مُصَانِعًا لِلْمُسْلِمِينَ بِإِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
فَرَآهُ فَيْضًا فَاضَ مِنْ عَقْلِ هُوَ الْـ ـفَعَّالُ عِلَّةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
حَتَّى تَلَقَّاهُ زَكِيٌّ فَاضِلٌ حَسَنُ التَّخَيُّلِ جَيِّدُ التِّبْيَانِ

فَـــأَتَى بِـــهِ لِلْعَالَـــمِينَ خَطَابَـــةً وَمَوَاعِظًـــا عَرِيَـــتْ عَـــنِ الْبُرْهَـــانِ

فَصْـلٌ

وَأَتَـــتْ طَوَائِـــفُ الِاتِّحَـــادِ بِمِلَّـــةٍ طَمَّـــتْ عَـــلَى مَـــا قَـــالَ كُـــلُّ لِسَـــانِ

قَالَـــتْ: كَـــلَامُ اللهِ كُـــلُّ كَـــلَامِ هَـــ ـــذَا الْـــخَلْقِ مِـــنْ جِـــنٍّ وَمِـــنْ إِنْسَـــانِ

هَـــذَا الَّـــذِي أَدَّى إِلَيْـــهِ أَصْـــلُهُمْ وَعَلَيْـــهِ قَـــامَ مُكَسِّـــحُ الْبُنْيَـــانِ

إِذْ أَصْـــلُهُمْ أَنَّ الْإِلَـــهَ حَقِيقَـــةً عَـــيْنُ الْوُجُـــودِ وَعَـــيْنُ ذَي الْأَكْـــوَانِ

فَاعْطِفْ عَلَى الْـــجَهْمِيَّةِ الْـــمُغْلِ الْأَلَى خَرَقُـــوا سِـــيَاجَ الْعَقْـــلِ وَالْقُـــرْآنِ

أَفْسَـــدْتُمُ الْـــمَعْقُولَ وَالْـــمَنْقُولَ وَالْـ ـــمَسْمُوعَ مِـــنْ لُغَـــةٍ بِكُـــلِّ لِسَـــانِ

أَيَصِحُّ وَصْفُ الشَّيْـــءِ بِالْـــمُشْتَقِّ لِلْـ ـــمَسْلُوبِ مَعْنَـــاهُ لِـــذِي الْأَذْهَـــانِ

أَيَصِـــحُّ صَـــبَّارٌ وَلَا صَـــبْرٌ لَـــهُ وَيَصِـــحُّ شَـــكَّارٌ بِـــلَا شُـــكْرَانِ

وَمُخَالِفُ الْـــمَعْقُولِ وَالْـــمَنْقُولِ وَالْـ ـــفِطْرَاتِ وَالْـــمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَـــانِ

مَـــنْ قَـــالَ: إِنَّ كَلَامَـــهُ سُـــبْحَانَهُ وَصْـــفٌ قَـــدِيمٌ، أَحْـــرُفٌ وَمَعَـــانِ

وَالسِّـــينُ عِنْـــدَ الْبَـــاءِ لَيْسَـــتْ بَعْـــدَهَا لَكِـــنْ هُمَـــا حَرْفَـــانِ مُقْتَرِنَـــانِ

أَوْ قَـــالَ: إِنَّ كَلَامَـــهُ سُـــبْحَانَهُ مَعْنَـــىً قَـــدِيمٌ قَـــامَ بِـــالرَّحْمَنِ

وَكَلَامُـــهُ كَحَيَاتِـــهِ مَـــا ذَاكَ مَقْـــ ـــدُورًا لَـــهُ، بَـــلْ لَازِمُ الـــرَّحْمَنِ

لَا تَنْصُرَنَّ سِوىَ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... هُمْ عَسْكَرُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

وَتَحَيَّزَنَّ إِلَيْهِمُ لَا غَيْرِهِمْ ... لِتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ

هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الْإِلَهُ عِبَادَهُ ... أَنَّ الْمُهَيْمِنَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

أَوَلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ ... يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ

مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةٌ ... فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصٍ ثَانِ

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي ... كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ

هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ ... قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمَذَانِي

وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ؛ لِأَنَّهُ ... قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ ... إِيجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَصْلِ زَمَانِ

لَمَّا بَرَاهُ اللهُ قَالَ: (اكْتُبْ كَذَا) ... فَغَدَا بِأَمْرِ اللهِ ذَا جَرَيَانِ

فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى ... يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ

فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسَّسُوا ... عِلْمَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ

وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ، بَلْ ... عَنْ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ ... قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبُطْلَانِ

يَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ ... جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِ ذِي طُغْيَانِ

وَاللهِ لَوْلَا اللهُ نَاصِرُ دِينِهِ ... وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

لَتَخَطَّفَتْ أَعْدَاؤنَا أَرْوَاحَنَا ... وَلَقَطَّعَتْ مِنَّا عُرَى الْإِيمَانِ

وَاللهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَا ... طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ

وَأَصِخْ لِفَائِدَةٍ جَلِيلِ قَدْرُهَا ... تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ ... يُبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

أَضْحَى كَنَصٍّ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التْـ ... ـتَأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أُولُو الْأَذْهَانِ

فَتَأَمَّلِ الْأَلْفَاظَ وَانْظُرْ مَا الَّذِي ... سِيقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ

فَالرُّسْلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أُصُو ... لِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ

كُلٌّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَاجٌ وَذَا ... فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ، فَافْهَمْ ذَانِ

فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ ... لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

عَقْلَانِ عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ ... وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِي

وَاللهِ مَا اسْتَوَيَا، وَلَنْ يَتَلَاقَيَا ... حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغِرْبَانِ

يَا قَوْمَنَا وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِنَا ... أَلْفًا تَدُلُّ عَلَيْهِ، بَلْ أَلْفَانِ

عَقْلًا وَنَقْلًا مَعْ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الْـ ... أُولَى وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ

كُلٌّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ ... مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ

أَفَمَنْ حَوَالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالْـ ... ـوَحْيِ الْمُبِينِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

كَمُحَـيَّرٍ أَضْـحَتْ حَوَالَتُـهُ عَـلَى ... أَمْثَالِـهِ، أَمْ كَيْـفَ يَسْـتَوِيَانِ؟!

أَمْ كَيْـفَ يَشْـعُرُ تَائِـهٌ بِمُصَـابِهِ ... وَالْقَلْـبُ قَـدْ جُعِلَـتْ لَـه قُفْـلَانِ

قُفْلٌ مِـنَ الْـجَهْلِ الْـمُرَكَّبِ، فَوْقَـهُ ... قُفْـلُ التَّعَصُّـبِ، كَيْـفَ يَنْفَتِحَـانِ؟!

وَمَفَـاتِحُ الْأَقْفَـالِ فِي يَـدِ مَـنْ لَـهُ الْتْـ ... ـتَـصْرِيفِ سُـبْحَانَهُ عَظِـيمُ الشَّـانِ

فَاسْـأَلْهُ فَـتْحَ الْقُفْـلِ مُجْتَهِـدًا عَـلَى الْـ ... أَسْـنَانِ إِنَّ الْفَـتْحَ بِالْأَسْـنَانِ

وَاللهُ نَـاصِرُ دِينِـهِ وَكِتَابِـهِ ... وَرَسُـولِهِ فِي سَـائِرِ الْأَزْمَـانِ

لَكِـنْ بِمِحْنَـةِ حِزْبِـهِ مِـنْ حَرْبِـهِ ... ذَا حِكْمَـةٌ مُـذْ كَانَـتِ الْفِتَنَـانِ

فَصْـلٌ

هَـذَا وَأَصْـلُ بَلِيَّـةِ الْإِسْـلَامِ مِـنْ ... تَأْوِيـلِ ذِي التَّحْرِيـفِ وَالْـبُطْلَانِ[1]

وَجَمِيعُ مَـا فِي الْكَـوْنِ مِـنْ بِـدَعٍ وَأَحْـ ... ـدَاثٍ تُخَـالِفُ مُوجَـبَ الْقُـرْآنِ

فَأَسَاسُـهَا التَّأْوِيـلُ ذُو الْـبُطْلَانِ لَا ... تَأْوِيـلُ أَهْـلِ الْعِلْـمِ وَالْإِيـمَانِ

وَحَقِيقَـةُ التَّأْوِيـلِ مَعْنَـاهُ الرُّجُـو ... عُ إِلَى الْـحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْـبُطْلَانِ

تَأْوِيـلُ أَهْـلِ الْبَاطِـلِ الْـمَرْدُودِ عِنْـ ... ـدَ أَئِمَّـةِ الْعِرْفَـانِ وَالْإِيـمَانِ

فَجَعَلْـتُمُ لِلَّفْـظِ مَعْنَـىً غَـيْرَ مَعْـ ... ـنَاهُ لَـدَيْهِمْ بِاصْـطِلَاحٍ ثَـانِ

---

(١) قد ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- أمثلة كثيرة من البليات من أجل تأويل التحريف.

وَحَمَلْتُمُ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حتْـ ... ـتَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ
كَذِبٌ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعْ كَذِبٍ عَلَى ... مَنْ قَالَهَا، كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ
وَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا ... جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ
إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ ... غَيْرُ الْحَقِيقَةِ، وَهْيِ ذُو بُطْلَانِ

فَصْلٌ

وَعَلَيْكُمُ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٌ ... وَاللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ
مِنْهَا دَلِيلٌ صَارِفٌ لِلَّفْظِ عَنْ ... مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ
فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا ... هَيْهَاتَ! طُولِبْتُمْ بِأَمْرٍ ثَانِ
وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي ... قُلْتُمْ: هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتِّبْيَانِ
فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَاكَ طُولِبْتُمْ بِأَمْـ ... ـرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي
إِذْ قُلْتُمُ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا، فَمَا ... ذَا دَلَّكُمْ؟ أَتَخَرُّصُ الْكُهَّانِ؟!
هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَـ ... ـكِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنًى ثَانِ

فَصْلٌ

وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرٍ رَابِعٍ ... وَاللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانِ
وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ إِذْ بِهِ الدْ ... ـدَعْوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

فَصْـلٌ

قَـوْمٌ أَقَـامَهُمُ الْإِلَـهُ لِـحِفْظِ هَـ ... ـذَا الـدِّينِ مِـنْ ذِي بِدْعَـةٍ شَـيْطَانِ
وَأَقَـامَهُمْ حَرَسًـا مِـنَ التَّبْـدِيلِ وَالتْـ ... ـتَحْرِيفِ وَالتَّتْمِـيمِ وَالنُّقْصَـانِ
بَـزْلٌ عَـلَى الْإِسْـلَامِ، بَـلْ حِصْـنٌ لَـهُ ... يَـأْوِي إِلَيْـهِ عَسَـاكِرُ الْفُرْقَـانِ
فَـإِذَا تَعَـارَضَ نَـصُّ لَفْـظٍ وَارِدٍ ... وَالْعَقْـلُ حَتَّـى لَـيْسَ يَلْتَقِيَـانِ
فَالْعَقْـلُ إِمَّـا فَاسِـدٌ وَيَظُنُّـهُ الـرَّا ... ئِـي صَـحِيحًا وَهْـوَ ذُو بُطْـلَانِ
أَوْ أَنَّ ذَاكَ الـنَّصَّ لَـيْسَ بِثَابِـتٍ ... مَـا قَالَـهُ الْـمَعْصُومُ بِالْبُرْهَـانِ
وَنُصُوصُـهُ لَيْسَـتْ يُعَـارِضُ بَعْضُـهَا ... بَعْضًـا، فَسَـلْ عَنْهَـا عَلِـيمَ زَمَـانِ
وَإِذَا ظَنَنْـتَ تَعَارُضًـا فِيهَـا فَـذَا ... مِـنْ آفَـةِ الْأَفْهَـامِ وَالْأَذْهَـانِ
أَوْ أَنْ يَكُـونَ الْـبَعْضُ لَـيْسَ بِثَابِـتٍ ... مَـا قَالَـهُ الْـمَبْعُوثُ بِـالْقُرْآنِ

فَصْـلٌ

وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ حَمَلُـوا النُّصُـو ... صَ عَلَى الْـحَقِيقَةِ لَا الْـمَجَازِ الثَّـانِي
إِلَّا إِذَا مَـا اضْـطَرَّهُمْ لِـمَجَازِهَا الْـ ... ـمُضْطَرُّ مِـنْ حِـسٍّ وَمِـنْ بُرْهَـانِ
فَهُنَـاكَ عِصْـمَتُهَا أَبَاحَتْـهُ ... بِغَـيْرِ تَجَـانُفٍ لِلْإِثْـمِ وَالْعُـدْوَانِ
وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ لَا يُكْفِـرُو ... نَكُـمُ بِـمَا قُلْـتُمْ مِـنَ الْكُفْـرَانِ

إِذْ أَنْتُمُ أَهْلُ الْجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ ... لَسْتُمْ أُولِي كُفْرٍ وَلَا إِيمَانِ

لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْكُفْرَانِ بَلْ ... لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ

إِلَّا إِذَا عَانَدْتُمُ وَرَدَدْتُمُ ... قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانِ

فَهُنَاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ ... إِنْسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النِّيرَانِ

فَصْلٌ

هَذَا وَمِنْ تَوْحِيدِهِمْ إِثْبَاتُ أَوْ ... صَافِ الْكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ... قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوَانِ

حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ ... ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَحَنَانِ

هُوَ أَوَّلٌ، هُوَ آخِرٌ؛ هُوَ ظَاهِرٌ، ... هُوَ بَاطِنٌ، هِيَ أَرْبَعٌ بِوِزَانِ

مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ، كَذَا مَا بَعْدَهُ ... شَيْءٌ، تَعَالى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ

مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ، كَذَا مَا دُونَهُ ... شَيْءٌ، وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ

وَهُوَ الْعَلِيُّ، فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْـ ... ـعُلُوِّ لَهُ فَثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ

وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنًى يُوجِبُ التْـ ... ـتَعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانِ

وَهُوَ الْجَلِيلُ، فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَا ... لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بُطْلَانِ

وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، كَيْفَ لَا ... وَجَمَالُ سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

مِـنْ بَعْـضِ آثَـارِ الْـجَمِيلِ؟! فَرَبُّهَـا ... أَوْلَى وَأَجْـدَرُ عِنْـدَ ذِي الْعِرْفَـانِ

فَجَمَالُـهُ بِالـذَّاتِ وَالْأَوْصَـافِ وَالْـ ... ـأَفْعَـالِ وَالْأَسْـمَاءِ بِالْبُرْهَـانِ

وَهُوَ الْـمَجِيدُ، صِـفَاتُهُ أَوْصَـافُ تَعْـ ... ـظِيمٍ، فَشَـأْنُ الْوَصْـفِ أَعْظَـمُ شَـانِ

وَهُوَ السَّمِيعُ، يَـرَى وَيَسْـمَعُ كُـلَّ مَـا ... فِي الْكَـوْنِ، مِـنْ سِرٍّ وَمِـنْ إِعْـلَانِ

وَهُوَ الْبَصِيرُ، يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَـةِ السْـ ... ـسَوْدَاءِ تَحْـتَ الصَّـخْرَةِ الصَّـوَّانِ

وَهُـوَ الْعَلِـيمُ، أَحَـاطَ عِلْـمًا بِالَّـذِي ... فِي الْكَـوْنِ، مِـنْ سِرٍّ وَمِـنْ إِعْـلَانِ

فَصْـلٌ

وَهُـوَ الْـحَمِيدُ، فَكُـلُّ حَمْـدٍ وَاقِـعٍ ... أَوْ كَـانَ مَفْرُوضًـا مَـدَى الْأَزْمَـانِ

هُـوَ أَهْلُـهُ سُـبْحَانَهُ وَبِحَمْـدِهِ ... كُلُّ الْـمَحَامِدِ وَصْـفُ ذِي الْإِحْسَـانِ

وَهُـوَ الْـمُكَلِّمُ عَبْـدَهُ مُوسَـى بِتَكْـ ... ـلِيمِ الْـخِطَابِ وَقَبْلَـهُ الْأَبَـوَانِ

وَهُـوَ الْقَـدِيرُ، وَلَـيْسَ يُعْجِـزُهُ إِذَا ... مَـا رَامَ شَـيْئًا قَـطُّ ذُو سُـلْطَانِ

وَهُـوَ الْقَـوِيُّ، لَـهُ الْقُـوَى جَمْعًـا تَعَـا ... لَى اللهُ ذُو الْأَكْـوَانِ وَالسُّـلْطَانِ

وَهُـوَ الْغَنِـيُّ بِذَاتِـهِ، فَغِنَـاهُ ذَا ... تِيٌّ لَـهُ كَالْـجُودِ وَالْإِحْسَـانِ

وَهُـوَ الْعَزِيـزُ، فَلَـنْ يُـرَامَ جَنَابُـهُ ... أَنَّـى يُـرَامُ جَنَـابُ ذِي السُّـلْطَانِ

وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْقَـاهِرُ الْغَـلَّابُ، لَـمْ ... يَغْلِبْـهُ شَيْءٌ، هَـذِهِ صِـفَتَانِ

وَهُـوَ الْعَزِيـزُ بِقُـوَّةٍ هِـيَ وَصْـفُهُ ... فَـالْعِزُّ حِينَئِـذٍ ثَـلَاثُ مَعَـانِ

وَهُـوَ الْـحَكِيمُ، وَذَاكَ مِـنْ أَوْصَـافِهِ ... نَوْعَـانِ أَيْضًـا، مَـا هُمَـا عَـدَمَانِ

حُكْـمٌ وَإِحْكَـامٌ، فَكُـلٌّ مِـنْهُمَا ... نَوْعَـانِ أَيْضًـا ثَابِتَـا الْبُرْهَـانِ

وَالْـحُكْمُ شَرْعِـيٌّ وَكَـوْنِيٌّ، وَلَا ... يَتَلَازَمَـانِ، وَمَـا هُمَـا سِـيَّانِ

بَـلْ ذَاكَ يُوجَـدُ دُونَ هَـذَا مُفْـرَدًا ... وَالْعَكْـسُ أَيْضًـا ثُـمَّ يَجْتَمِعَـانِ

وَهُـوَ الْـحَيِيُّ، فَلَيْسَ يَفْضَـحُ عَبْدَهُ ... عِنْـدَ التَّجَـاهُرِ مِنْـهُ بِالْعِصْـيَانِ

وَهُـوَ الْـحَلِيمُ، فَـلَا يُعَاجِـلُ عَبْـدَهُ ... بِعُقُوبَـةٍ؛ لِيَتُـوبَ مِـنْ عِصْـيَانِ

وَهُـوَ الْعَفُـوُّ، فَعَفْـوُهُ وَسِـعَ الْـوَرَى ... لَـوْلَاهُ غَـارَ الْأَرْضُ بِالسُّـكَّانِ

وَهُـوَ الصَّـبُورُ عَـلَى أَذَى أَعْدَائِـهِ ... شَـتَمُوهُ، بَـلْ نَسَـبُوهُ لِلْبُهْتَـانِ

وَهُوَ الرَّقِيبُ عَـلَى الْـخَوَاطِرِ وَاللَّـوَا ... حِـظِ، كَيْـفَ بِالْأَفْعَـالِ بِالْأَرْكَـانِ

وَهُـوَ الْـحَفِيظُ عَلَـيْهِمُ، وَهُـوَ الْـ ... ـكَفِيلُ بِحِفْظِهِـمْ مِـنْ كُـلِّ أَمْـرٍ عَـانِ

وَهُـوَ اللَّطِيـفُ بِعَبْـدِهِ وَلِعَبْـدِهِ ... وَاللُّطْـفُ فِي أَوْصَـافِهِ نَوْعَـانِ

إِدْرَاكُ أَسْرَارِ الْأُمُـورِ بِخِـبْرَةٍ ... وَاللُّطْـفُ عِنْـدَ مَوَاقِـعِ الْإِحْسَـانِ

فَيُرِيـكَ عِزَّتَـهُ وَيُبْـدِي لُطْفَـهُ ... وَالْعَبْـدُ فِي الْغَفَـلَاتِ عَـنْ ذَا الشَّـانِ

وَهُوَ الرَّفِيـقُ يُحِـبُّ أَهْـلَ الرِّفْـقِ، بَـلْ ... يُعْطِـيهِمُ بِـالرِّفْقِ فَـوْقَ أَمَـانِ

وَهُوَ الْقَرِيبُ، وَقُرْبُهُ الْـمُخْتَصُّ بِالـدْ ... دَاعِـي وَعَابِـدُهُ عَـلَى الْإِيـمَانِ

وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْـ ... ـهُ، أَنَا الْمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي

وَهُوَ الْجَوَادُ، فَلَا يُخَيِّبُ سَائِلًا ... وَلَوَ انَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ

وَهُوَ الْمُغِيثُ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ ... وَكَذَا يُجِيبُ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ

وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ ... أَحْبَابُهُ، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ

وَهُوَ الشَّكُورُ، فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ ... لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسْبَانِ

وَهُوَ الْغَفُورُ، فَلَوْ أُتِي بِقُرَابِهَا ... مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ

لَاقَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِلْءَ قُرَابِهَا ... سُبْحَانَهُ، هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

وَكَذَلِكَ التَّوَّابُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... وَالتَّوَّابُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

إِذْنٌ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا ... بَعْدَ الْمَتَابِ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ

وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي ... صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالْإِذْعَانِ

الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُو ... هِ، كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ

وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ

وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... وَالْجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلِّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ... ذَا كَسْرَةٍ، فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانِي

وَالثَّانِ جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي ... لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ

وَلَهُ مُسَمَّىً ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ ... فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ

مِـنْ قَوْلِـهِمْ جَبَّـارَةً لِلنَّخْلَـةِ الْـ ... ـعُلْيَا الَّتِـي فَاتَـتْ لِكُـلِّ بَنَـانِ

وَهُـوَ الْـحَسِيبُ حِمَايَـةً وَكِفَايَـةً ... وَالْـحَسْبُ كَـافِي الْعَبْـدِ كُـلَّ أَوَانِ

وَهُـوَ الرَّشِـيدُ، فَقَوْلُـهُ وَفِعَالُـهُ ... رُشْـدٌ، وَرَبُّـكَ مُرْشِـدُ الْـحَيْرَانِ

وَكِلَاهُمَـا حَـقٌّ، فَهَـذَا وَصْـفُهُ ... وَالْفِعْـلُ لِلْإِرْشَـادِ، ذَاكَ الثَّـانِي

وَالْعَـدْلُ مِـنْ أَوْصَـافِهِ فِي فِعْلِـهِ ... وَمَقَالِـهِ، وَالْـحُكْمُ فِي الْـمِيزَانِ

فَعَـلَى الصِّـرَاطِ الْـمُسْتَقِيمِ إِلَـهُنَا ... قَـوْلًا وَفِعْـلًا، ذَاكَ فِي الْقُـرْآنِ

هَذَا وَمِـنْ أَوْصَـافِهِ الْقُـدُّوسُ ذُو التْـ ... ـتَنْزِيهِ بِـالتَّعْظِيمِ لِلـرَّحْمَنِ

وَهُـوَ السَّـلَامُ عَـلَى الْـحَقِيقَةِ سَالِـمٌ ... مِـنْ كُـلِّ تَمْثِيـلٍ وَمِـنْ نُقْصَـانِ

وَالْـبِرُّ مِـنْ أَوْصَـافِهِ سُـبْحَانَهُ ... هُـوَ كَثْـرَةُ الْـخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَـانِ

وَكَـذَلِكَ الْوَهَّـابُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ ... فَـانْظُرْ مَوَاهِبَـهُ مَـدَى الْأَزْمَـانِ

وَكَـذَلِكَ الْفَتَّـاحُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ ... وَالْفَـتْحُ فِي أَوْصَـافِهِ أَمْـرَانِ

فَـتْحٌ بِحُكْـمٍ، وَهْـوَ شَرْعٌ إِلَـهِنَا ... وَالْفَـتْحُ بِالْأَقْـدَارِ، فَـتْحٌ ثَـانِ

وَكَـذَلِكَ الـرَّزَّاقُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ ... وَالـرِّزْقُ مِـنْ أَفْعَالِـهِ نَوْعَـانِ

رِزْقٌ عَـلَى يَـدِ عَبْـدِهِ وَرَسُـولِهِ ... نَوْعَـانِ أَيْضًـا، ذَانِ مَعْرُوفَـانِ

رِزْقُ الْقُلُـوبِ الْعِلْـمَ وَالْإِيـمَانِ وَالـرْ ... ـرِزْقَ الْـمُعَدَّ لِـهَذِهِ الْأَبْـدَانِ

وَالثَّـانِي سَـوْقُ الْقُـوتِ لِلْأَعْضَـاءِ فِي ... تِلْـكَ الْـمَجَارِي سَـوْقَهُ بِـوِزَانِ

هَـذَا وَمِـنْ أَوْصَـافِهِ الْقَيُّـومُ وَالْـ ... ـقَيُّومُ فِي أَوْصَـافِهِ أَمْـرَانِ

إِحْـدَاهُمَا الْقَيُّـومُ قَـامَ بِنَفْسِـهِ ... وَالْكَـوْنُ قَـامَ بِـهِ، هُمَـا الْأَمْـرَانِ

وَالْـحَيُّ يَتْلُـوهُ فَأَوْصَـافُ الْكَـمَا ... لِ هُمَـا لِأُفْـقِ سَـمَائِهِ قُطْبَـانِ

فَالْـحَيُّ وَالْقَيُّـومُ لَـنْ تَتَخَلَّـفَ الْـ ... أَوْصَـافُ أَصْـلًا عَـنْهُمَا بِبَيَـانِ

هُوَ قَابِضٌ، هُوَ بَاسِطٌ، هُـوَ خَـافِضٌ، ... هُـوَ رَافِـعٌ بِالْعَـدْلِ وَالْإِحْسَـانِ

وَهُـوَ الْـمُعِزُّ لِأَهْـلِ طَاعَتِـهِ وَذَا ... عِـزٌّ حَقِيقِـيٌّ بِـلَا بُطْـلَانِ

وَهُوَ الْـمُذِلُّ لِـمَنْ يَشَاءُ بِذُلِّـهِ الـدْ ... دَارَيْـنِ ذُلَّ شَـقًا وَذُلَّ هَـوَانِ

هُـوَ مَـانِعٌ مُعْـطٍ فَهَـذَا فَضْـلُهُ ... وَالْـمَنْعُ عَـيْنُ الْعَـدْلِ لِلْمَنَّـانِ

وَالنُّـورُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ أَيْضًـا، وَمِـنْ ... أَوْصَـافِهِ سُـبْحَانَ ذِي الْبُرْهَـانِ

نُـورُ السَّـمَاوَاتِ الْعُـلَى مِـنْ نُـورِهِ ... وَالْأَرْضُ، كَيْـفَ النَّجْمُ وَالْقَمَـرَانِ؟

وَكِتَابُـهُ نُـورٌ كَـذَلِكَ شَرْعُـهُ ... نُـورٌ كَـذَا الْـمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَـانِ

وَكَـذَلِكَ الْإِيـمَانُ فِي قَلْـبِ الْفَتَـى ... نُـورٌ عَـلَى نُـورٍ مَـعَ الْقُـرْآنِ

وَالنُّـورُ ذُو نَـوْعَيْنِ مَخْلُـوقٌ وَوَصْـ ... ـفٌ مَـا هُمَـا وَاللهِ مُتَّحِـدَانِ

وَكَـذَلِكَ الْـمَخْلُوقُ ذُو نَـوْعَيْنِ مَحْـ ... ـسُوسٌ وَمَعْقُـولٌ هُمَـا شَـيْئَانِ

احْـذَرْ تَـزِلَّ؛ فَتَحْـتَ رِجْلِـكَ هُـوَّةٌ ... كَـمْ قَـدْ هَـوَى فِيهَـا عَـلَى الْأَزْمَـانِ

مِـنْ عَابِـدٍ بِالْـجَهْلِ زَلَّـتْ رِجْلُـهُ ... فَهَوَى إِلَى قَعْـرِ الْـحَضِيضِ الدَّانِـي

وَهُوَ الْـمُقَدِّمُ وَالْـمُؤَخِّرُ، ذَانِكَ الصْـ ... ـــصِفَتَانِ لِلْأَفْعَـــالِ تَابِعَتَـــانِ

وَهُمَـا صِـفَاتُ الـذَّاتِ أَيْضًـا، إِذْ هُمَـا ... بِالـــذَّاتِ لَا بِـــالْغَيْرِ قَائِمَتَـــانِ

وَالْوَصْـفُ بِالتَّقْـدِيمِ وَالتَّـأْخِيرِ كَـوْ ... نِـــيٌّ وَدِينِـــيٌّ، هُمَـــا نَوْعَـــانِ

وَكِلَاهُمَـــا أَمْـــرٌ حَقِيقِـــيٌّ وَنِسْـــ ... ـــبِيٌّ، وَلَا يَخْفَـــى عَـــلَى الْأَذْهَـــانِ

هَـذَا وَمِـنْ أَسْـمَائِهِ مَـا لَـيْسَ يُفْـ ... ـــرَدُ بَـــلْ يُقَـــالُ إِذَا أَتَـــى بِقِـــرَانِ

وَهِـــيَ الَّتِـــي تُـــدْعَى بِمُزْدَوَجَاتِهَـــا ... إِفْرَادُهَـــا خَطَـــرٌ عَـــلَى الْإِنْسَـــانِ

إِذْ ذَاكَ مُـوْهِمُ نَـوْعِ نَقْـصٍ جَـلَّ رَبْ ... بُ الْعَرْشِ عَـنْ عَيْـبٍ وَعَـنْ نُقْصَـانِ

كَالْـمَانِعِ الْـمُعْطِي وَكَالضَّـارِّ الَّـذِي ... هُـــوَ نَـــافِعٌ وَكَـــمَالُهُ الْأَمْـــرَانِ

وَدِلَالَـــةُ الْأَسْـــمَاءِ أَنْـــوَاعٌ ثَـــلَا ... ثٌ، كُلُّهَـــا مَعْلُومَـــةٌ بِبَيَـــانِ

دَلَّـــتْ مُطَابَقَـــةٌ كَـــذَاكَ تَضَـــمُّنًا ... وَكَـــذَا الْتِزَامًـــا وَاضِـــحَ الْبُرْهَـــانِ

وَإِذَا أَرَدْتَ لِـــذَا مِثَـــالًا بَيِّنًـــا ... فَمِثَـــالُ ذَلِـــكَ لَفْظَـــةُ الـــرَّحْمَنِ

ذَاتُ الْإِلَـــهِ وَرَحْمَـــةٌ مَدْلُولُـــهَا ... فَهُـــمَا لِـــهَذَا اللَّفْـــظِ مَـــدْلُولَانِ

إِحْدَاهُمَا مَعْنَىً لِـذَا الْـمَوْضُوعِ فِـهْـ ... ـــيَ تَضَـــمُّنٌ، ذَا وَاضِـــحُ التِّبْيَـــانِ

لَكِـنَّ وَصْـفَ الْـحَيِّ لَازِمُ ذَلِـكَ الْـ ... ـــمَعْنَى لُـــزُومَ الْعِلْـــمِ لِلـــرَّحْمَنِ

فَصْـلٌ

لَا تُوحِشَـنَّكَ غُرْبَـةٌ بَـيْنَ الْـوَرَى ... فَالنَّـاسُ كَـالْأَمْوَاتِ فِي الْـحُسْبَانِ

أَوَمَـا عَلِمْـتَ بِـأَنَّ أَهْـلَ السُّـنَّةِ الْـ ... ـغُرَبَاءُ حَقًّـا عِنْـدَ كُـلِّ زَمَـانِ

قُلْ لِي: مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ ... وَالتَّـابِعُونَ لَـهُمْ عَـلَى الْإِحْسَـانِ

مِـنْ جَاهِـلٍ وَمُعَانِـدٍ وَمُنَـافِقٍ ... وَمُحَـارِبٍ بِـالْبَغْيِ وَالطُّغْيَـانِ

أَتَظُـنُّ أَنَّـكَ وَارِثٌ لَـهُمُ وَمَـا ... ذُقْـتَ الْأَذَى فِي نُصْـرَةِ الـرَّحْمَنِ

كَـلَّا، وَلَا جَاهَـدْتَ حَـقَّ جِهَـادِهِ ... فِي اللهِ لَا بِيَـدٍ وَلَا بِلِسَـانِ

مَنَّتْـكَ وَاللهِ الْـمُحَالَ الـنَّفْسُ فَاسْـ ... ـتَحْدِثْ سِوَى ذَا الـرَّأْيِ وَالْـحُسْبَانِ

لَـوْ كُنْـتَ وَارِثَـهُ لَآذَاكَ الأُلَى ... وَرِثُـوا عِـدَاهُ بِسَـائِرِ الْأَلْـوَانِ

فَصْـلٌ

هَـذَا وَثَـانِي نَـوْعَيِ التَّوْحِيـدِ تَـوْ ... حِيـدُ الْعِبَـادَةِ مِنْـكَ لِلـرَّحْمَنِ

وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ رُكْنَا ذَلِـكَ التـْ ... ـتَوْحِيدِ كَـالرُّكْنَيْنِ لِلْبُنْيَـانِ

وَحَقِيقَـةُ الِإخْـلَاصِ تَوْحِيـدُ الْـمُرَا ... دِ، فَـلَا يُزَاحِمُـهُ مُـرَادٌ ثَـانِ

وَالصِّـدْقُ تَوْحِيـدُ الْإِرَادَةِ وَهْـوَ بِـذْ ... لُ الْـجَهْدِ لَا كَسِـلًا وَلَا مُتَـوَانِ

وَالسُّـنَّةُ الْـمُثْلَى لِسَـالِكِهَا فَتَـوْ ... حِيـدُ الطَّرِيـقِ الْأَعْظَـمِ السُّـلْطَانِ

فَلِوَاحِـدٍ كُـنْ وَاحِـدًا فِي وَاحِـدٍ أَعْنِـي سَـبِيلَ الْـحَقِّ وَالْإِيـمَانِ
فَـإِذَا هِـيَ اجْتَمَعَـتْ لِـنَفْسٍ حُـرَّةٍ بَلَغَـتْ مِـنَ الْعَلْيَـاءِ كُـلَّ مَكَـانِ

فَصْـلٌ

الْعِلْـمُ قَـالَ اللهُ قَـالَ رَسُـولُهُ قَـالَ الصَّـحَابَةُ، هُـمْ أُولُـو الْعِرْفَـانِ
مَـا الْعِلْـمُ نَصْـبُكَ لِلْخِـلَافِ سَـفَاهَةً بَـيْنَ الرَّسُـولِ وَبَـيْنَ رَأْيِ فُـلَانِ

فَصْـلٌ

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسِـجْنِ اللَّفْـظِ مَسْـ ـجُونُونَ خَـوْفَ مَعَـرَّةِ السَّـجَّانِ
وَالْكُـلُّ إِلَّا الْفَـرْدَ يَقْبَـلُ مَـذْهَبًا فِي قَالَـبٍ وَيَـرُدُّهُ فِي ثَـانِ
وَالْقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأَوْصَـافَ وَالْـ أَفْعَـالَ لَا تُنْفَـى بِـذَا الْـهَذَيَانِ
سَمُّوهُ مَا شِـئْتُمْ فَلَـيْسَ الشَّـأْنُ فِي الْـ أَسْـمَاءِ، بَـلْ فِي مَقْصَـدٍ وَمَعَـانِ
الْـحَقُّ إِثْبَـاتُ الصِّـفَاتِ، وَنَفْيُهَـا عَـيْنُ الْـمُحَالِ، وَلَـيْسَ فِي الْإِمْكَـانِ
فَالْـجِسْمُ إِمَّـا لَازِمٌ لِثُبُوتِهَـا فَهُـوَ الصَّـوَابُ وَلَـيْسَ ذَا بُطْـلَانِ
أَوْ لَـيْسَ يَلْـزَمُ مِـنْ ثُبُـوتِ صِـفَاتِهِ فَشَـنَاعَةُ الْإِلْـزَامِ بِالْبُهْتَـانِ

فَصْلٌ

وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَقَوْلُهُ الْـ ... ـمَقْبُولُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ
مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُمْنَا عَلَى ... أَقْوَالِهِ بِالسَّبْرِ وَالْمِيزَانِ
إِنْ وَافَقَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ ... فَعَلَى الرُّؤُوسِ تُشَالُ كَالتِّيجَانِ
أَوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَى ... مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانِ
أَوْ أَشْكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ ... نَجْزِمْ بِلَا عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانِ
هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا ... وَبِهِ نَدِينُ اللهَ كُلَّ أَوَانِ
فَهُوَ الْمُطَاعُ وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى ... أَمْرِ الْوَرَى وَأَوَامِرِ السُّلْطَانِ

فَصْلٌ

مَاذَا تَرَى فَرْضًا عَلَيْكَ مُعَيَّنًا ... إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَذَا إِيمَانِ
عَرْضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ ... أَوْ عَكْسَ ذَاكَ؟ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ
هِيَ مَفْرِقُ الطُّرُقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا ... وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْعُدْوَانِ
وَحَيَاةُ قَلْبِ الْمَرْءِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ ... يُرْزَقْهُمَا يَحْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ
ذِكْرُ الْإِلَهِ، وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْـ ... ـرَاكٍ بِهِ، وَهُمَا فَمُمْتَنِعَانِ
مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَامْتِنَا ... عِ الطَّائِرِ الْمَقْصُوصِ مِنْ طَيَرَانِ

يَـا مَـنْ تَعِـزُّ عَلَـيْهِمُ أَرْوَاحُهُـمْ ... وَيَـرَوْنَ عَيْبًـا بَيْعَهَـا بِهَـوَانِ

وَيَـرَوْنَ أَنَّ أَمَسامَهُمْ يَـوْمَ اللِّقَـا ... لله مَسْـأَلَتَانِ شَـامِلَتَانِ

مَـاذَا عَبَـدْتُمْ؟ ثُـمَّ مَـاذَا قَـدْ أَجَبْـ ... ـتُمْ مَـنْ أَتَـى بِالْـحَقِّ وَالْبُرْهَـانِ؟

هَـاتُوا جَوَابًـا لِلسُّـؤَالِ وَهَيِّئُـوا ... أَيْضًـا صَـوَابًا لِلجَـوَابِ يَـدَانِ

* * *